أثرُ الدراسةِ الحديثةِ
في المنهجِ النحوي
عند سِيبويه

Impact of the Modernist Study
on the Syntactic Method of Sibawaihi

أ.م.د بان صالح مهدي
كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

Asst. Prof. Dr. Bann Salah Mahdi
College of Education, University of Baghdad

... ملخص البحث...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاة والسلامُ على أشرف الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد المصطفى، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أمّا بعدُ:

فشخصية الفرد تنمو وتتطور، بوساطة ما تكتسب من علوم، ولابد أن يكون ما يتعلمه الانسان مؤثراً في شخصيته، وطبيعة تعامله، وما يختط من منهج علمي.

والذي يتتبع تاريخ علماء اللغة الأوائل يجد أنّ أغلبهم لم يقتصر على طلب علمٍ واحد، بل كان يملك في جعبته أكثر من علم، وهذا ما جعل آثار العلوم التي يأخذونها واضحة جلية على مناهجهم الفكرية.

وفي هذا البحث، وانطلاقاً من هذه الفكرة، حاولنا أن نبرز الأثر الذي خلفه علم الحديث في شخصية سيبويه النحوي، وكيف ارتسمت ملامح مناهج المحدّثين وبدت آثارها في كتابه؛ ولعل سبب ذلك التأثّر أنه درس الحديث قبل أن يشرع بدراسة علوم اللغة.

وانتظم هذا البحث في محورين جاءت قبلهما توطئة أشارت إلى التداخل المعرفي

بين علم النحو والعلوم الأخرى. فضلاً عن بداية دراسة سيبويه لعلم الحديث، وسبب هَجره له، وانتقاله إلى طلب علم النحو.

بعد ذلك جاء **المحور الأول**: الذي تناول آداب المحدّثين وكيف كانت حاضرة في شخصية سيبويه، وظهرت في منهجه.

أمّا **المحور الثاني**: فاختص بالحديث عن المصطلحات الحديثية التي برزت في كتاب سيبويه بكثرة، في أكثر من موطن.

وبعد الفراغ من الحديث في المحورين جاءت الخاتمة لتشير إلى ما توصل إليه البحث.

ثم كتابة روافد البحث التي استُقيت منها أفكاره.

... Abstract ...

By sciences personality evolves and develops. It is for man to have what it is efficacious to his personality, dealings and scientific methodologies.

When trailing the chronicles of the avant-garde linguistic scientists, it is to find that they never delimit themselves to a science, but they have more than one science in their repertoire . That is why the impact of the acquired sciences looms large on their intellectual ideology.

Consequently, such a research paper endeavours to manifest the impact of the discourse on the syntactic personality of Sibawaihi and how the traits of the innovative engraved in his writings. Perhaps the reason,here, lurks in the fact that he studies discourse first before inaugurating the syntactic science.

The research comes in two isles preceded BY an intro-

duction to the knowledge interference between linguistics and other sciences. Provided that it tackles studying the reasons behind abandoning discourse and pursuing other sciences. Then only then, the first isle manipulates the literature of the innovative and how it strikes deep roots in the personality and ideology of Sibawaihi.

Yet the second isle delimits itself to modern terms appearing much in his writings. Ultimately, the research paper reaches the conclusion and bibliography.

... توطئة...

لقد شهد علم النحو تداخلاً معرفياً مع العلوم الأخرى، ولعله من أبرز العلوم الذي شهد هذا التداخل؛ ذلك أنه يعد حالة معرفية يتوصل منها إلى تنظيم الكلام على وفق قواعد وأصول منهجية استخلصت من استقراء كلام العرب.

ويقوم التداخل المعرفي بين العلوم على أسس يمكن أن نعدها ثلاثة هي: التأثر والتأثير، والتشابه، والتناسب والتلازم.

فالفكرة المعينة قد تنتمي في أصلها إلى علم معيّن ثم تنتقل إلى علم آخر، وتستقر فيه، وتصبح أساسا من أساسياته فنجد في النحو مصطلحات هي ذاتها مصطلحات أهل الحديث.

وإنّ تردد هذه المصطلحات في أروقة النحو وعلى ألسنة النحاة ما هو إلا دليل على أن النحو متأثر بعلم الحديث، وإن هذه المصطلحات استقرت فيه، وصارت تطلق على الحكم النحوي.

ولم يكن هذا التأثير من تداخل العلوم فقط وإنما لأن صاحب العلم، أو من نقول إنه المؤسس الأول لعلم النحو، ونستطيع أن نصفه بأنه الرائد الأول في ميدان التأليف النحوي كان قد درس الحديث أولا قبل أن يلج ميدان علم النحو ولاشك في أن من يدرس علما ثم يتوجه إلى دراسة علم آخر أن يتأثر ويدخل ما تعلمه في العلم

الأول على الثاني. أي إن ما اكتسبه من مصطلحات ورؤى ومفاهيم وأدوات استعان بها من علمه الذي تعلمه ابتداءً سيكون عالقاً في ذهنه؛ لأنّ الانسان بطبيعته يُسخِّر ما يمتلكه من تراكم معرفي لتثبيت أفكاره. فهي طبيعة بشرية. وهذا بدا على سيبويه الذي امتلك هذا التراكم الخاص بمصطلحات أهل الحديث لينقلها إلى علم النحو.

فقد استوت شخصيته -أي سيبويه- على وفق مناهج المحدّثين، وأُشربت الأسس الحديثية في منظومته الفكرية فتراءت آثارها جلية في المنهج الذي اختطه لنفسه في التأليف اللغوي متمثلاً في كتابه.

ولعل من النافع أن نسرد القصة التي أدت إلى أن يترك سيبويه علم الحديث، ويلجأ إلى دراسة علوم اللغة.

سبب طلبه للنحو

كان الحديث والفقه من أول ما يدرس العلماء، وهذا ما جعل سيبويه يتوجه إلى دراستهما فكان يستملي الحديث على حماد بن سلمة، وبينما هو يستملي قول النبي صلى الله عليه وآله "**ليس من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء**" فقال سيبويه: "ليس أبو الدرداء" وظنه اسم ليس. فقال حماد: لحنت يا سيبويه ليس هذا حيث ذهبت، وإنما ليس ها هنا استثناء فقال: لا جرم سأطلب علماً لا تلحنني فيه أبداً. فلزم الخليل فبرع(١).

وفي خبر آخر يرويه حماد بن سلمة، أنه جاء إليه سيبويه مع قوم يكتبون شيئاً من الحديث قال حماد: فكان فيما أمليت ذكر الصفا فقلت: (صعد رسول الله صلى الله عليه وآله الصفا) وكان هو الذي يستملي فقال: (صعد النبي صلى الله عليه وآله الصفاء) فقلت: يا فارسي لا تقل الصفاء؛ لأنّ الصفاء مقصور فلما فرغ من مجلسه كسر القلم، وقال: (لا أكتب شيئاً حتى أحكم العربية)(٢).

فيبدو أنّ أثر هاتين الحادثتين كان دافعاً جعل سيبويه يُقدم على تعلّم علوم العربية، والنبوغ فيها فما صدر عن حماد كان السبب الرئيس الذي صنع سيبويه النحوي.

وحمل مع تلك الرغبة الشديدة لتعلم النحو أدوات اختزلها من دراسته للحديث وطفقت تلوح في شخصيته العلمية، وتبدو آثارها جلية في أسلوب بحثه، والمنهج

الذي اختطه لمعالجة القضايا اللغوية في كتابه. فصار له طابعه الخاص، وشخصيته التي يحس بها قارئه، فقد عرض للآراء وناقشها، وحكم عليها، فكثيراً ما تجد في كتابه: قال فلان كذا وقياس كذا؛ لأنه عرف عن سيبويه تحريه الدقة، فلم ينقل إلا ممن يحتج بلغته. ومن مناقشاته: ((وذلك قولك: ويح له وتب، وتبّاً لك وويحاً، فجعلوا التب بمنزلة الويح، جعلوا (ويح) بمنزلة التب فوضعوا كل واحد منها في غير الموضع الذي وضعته العرب)).

وتجد في أكثر من موطن من الكتاب ملامح المنهج الحديثي واضحة في أسلوب كتابه، وعلى ذلك أكثر من شاهد، ومنها آداب المحدّثين:

... المحور الأول...

أثر آداب المحدّثين في شخصية سيبويه

إنّ (الآداب) مصطلح علمي خاص عند أصحاب الحديث، انتقلت منهم إلى الدرس النحوي على ما ظهر في كتاب سيبويه، وهذا الانتقال كان لا بد منه؛ لأنّ طالب الحديث قد تحوّل من طلب علم الحديث إلى طلب علم النحو وبهذا وجب عليه أن ينقل كلّ ما تحلى به في ذلك العلم إلى ما تعلمه في علمه، فالآداب الذاتية من الإخلاص، وتصحيح النية، والملازمة، والدأب أفضت إلى آداب اكتساب العلم من تقييد العلم، وفهمه، وحفظه، واملائه. وتأثره بالآداب الذاتية التي أخذها عن علماء الحديث التي يجب أن تتوافر في المحدِّث، وفي طالب الحديث، وهي في الأعم الأغلب عندهم صفتان:

- الإخلاص وتصحيح النيّة:

ويراد به عدم اختلاط الغايات عند صاحب الحديث، وتوجه نيّته إلى الله تعالى من دون أن تصرفها عنه صارفة. وأن لا يقصد من ورائها منفعة دنيوية أو تقرباً من سلطان أو رغبة في علو صيت، وعلى هذا فقد قرروا أنّ آداب المحدث هي: "الإخلاص، والحذر من أن يتخذه وصلة إلى شيء من الأغراض الدنيوية"(٣)

وخلوص النيّة صفة نجدها ملاصقة لسيبويه، لكونه قد درس الحديث أولاً فتشبّع بها وكانت ملازمة له، فلم يتقرب من سلطان، ولم تكن الغاية من تعلم علوم العربية، والبروع فيها أن يحصل على مكاسب مادية أو دنيوية وإنّما كان الهدف الأساسي من تعلمه هذه العلوم أن يبتعد عن اللحن في الحديث. فإذن أراد أن يتقن روايته للحديث حتّى لا يقع منه زلل يؤدي إلى خطأ في قراءته.

وكانت المناظرة بين الكسائي وسيبويه المعروفة بـ(المسألة الزنبورية) خير دليل على ذلك، فلم نجد سيبويه فيها خارجاً عن أدبيات العلماء، وسلوكهم، بل كان مجسداً لكلّ الأخلاقيات التي استقاها من شيوخه في علم الحديث والعلوم اللغوية.

- الملازبة والدأب:

على الرغم من أهمية الإخلاص في طلب العلم، إلا أنه لا يكفي في تحقيق ما ينشده العلماء فلا بد أن ترافقها أمور أخرى. فـ"إذا كان خلوص النية أصلاً لا غناء عنه فإنّه وحده لا يكفي إلا إذا اقترن بعمل حقيقي، وطالب الحديث لا يستطيع أن يدرك غايته إلا بأن تتوافر فيه الصفة الثانية التي أصلوها، وهي الملازمة والدأب، والملازمة تعني ملازمة الشيخ حتى يكون أخذه عنه أخذا واعيا محققاً لما يروي. وعلى هذا فإنّ الملازمة ليست مجرد الصحبة وإنما هي التيقظ الكامل عند الأخذ عن الشيخ فلا يحملنه الحرص والشره على التساهل على السماع وتحمل تقييد"(٤).

وإذا ما عدنا إلى سيبويه نجده بحق قد طبّق هذه الصفة تطبيقاً عملياً -أعني الملازمة- فكان ملازماً لشيخه الخليل، دائباً على صحبته، فلم يكن يتركه فقد ذكر ابن الأنباري أن سيبويه قد صاحب الخليل، فقال: "إنّه قد برز من أصحاب الخليل

أربعة: عمر بن عثمان بن قنبر أبو بشر المعروف بسيبويه، والنضر بن شميل، وعلي بن نصر الجهمي، ومؤرج السدوسي. وكان أبرعهم في النحو سيبويه"(٥).

وقد عُرف عن الخليل أنّه كان يفتح له صدره، ويرى فيه الطالب الذي لا يُضَنُّ عليه، وكان يحبه حبّا كبيرا، قال ابن النظار: "كنت عند الخليل بن أحمد فأقبل سيبويه، فقال الخليل: مرحباً بزائر لا يمل"(٦).

وعن هذا الوصف من الخليل يقول الجرمي: "ما سمعت الخليل يقولها إلا لسيبويه"(٧).

ومن المعلوم أنّ هذا الدأب على ملازمة الشيخ تجعل الطالب متأملاً ومستمراً في مراجعة ما يأخذ من الشيخ صابراً على أخذه بتدبر ووعي.

ولعل من أبرز ما جناه سيبويه من هذه الملازمة الطويلة، ثمرة كتابه الذي سمّاه الناس فيما بعد قرآن النحو.

- طرائق التحمل:

مما لاشك فيه أن المحدثين كانوا أسبق من اللغويين في وضع طرائق التحمل والأداء وأهمية هذه الطرائق هو ضمان نقل العلم إلى الناس بصورة صحيحة لا تدعو إلى اللبس وتحفظها من التدليس ولذلك وضعوا مناهج لطالب الحديث يتحرون فيه الصدق والأمانة ويتابعونه بالعلم حتى يصل إلى مرحلة يعترفون له بأنه صار أهلا للرواية. ومن تلك الطرائق:

- السماع:

عرّف المحدِّثون السماع بأنه "أن يحدث المحدث الراوي بحديث أو خبر سواء أكان ذلك التحديث شفاها من المصدر أم قراءة من كتاب"(٨) ومعنى ذلك أن يسمع طالب الحديث من الشيخ الحديث سواء كان من حفظه أم من كتاب والحضور يسمعون. ويرى أكثر العلماء أن السماع أول مراتب التحمل وأرفعها. ورأى بعضهم أن السماع من الشيخ والكتابة عنه أرفع من السماع فقط(٩). ولا خلاف بين العلماء أنه يجوز في هذا أن يقول الآخذ عن الشيخ: حدثنا، واخبرنا، وأنبأنا، أو سمعت فلانا يقول وقال لنا فلان. ويرى الخطيب البغدادي أن أرفع العبارات في ذلك سمعت ثم حدثنا وحدثني(١٠). ولا يجيز فريق استعمال (حدثني) بدلا من (سمعت)؛ لأن بعض العلماء كان يقول فيما أخبر له حدثني، وعلى تعبير يحيى بن القطان ليست (حدثنا) بنص في أن قائلها قد سمع(١١) وقد جسد سيبويه هذه المصطلحات في كتابه وما عنى به المحدثون هو ذاته ماعناه سيبويه فلم يستعملها إلا في المواضع التي حكموا باستعمالها فيه. فقد استعمل لفظة (سمعت) و(سمعنا) في الموقع الذي سمع فعلا من العرب ولم يستعملها في غيره. وهذا واضح من قوله سمعنا العرب تتكلم به(١٢) وفي موضع آخر سمعنا من العرب(١٣) وقال في مكان آخر: سمعنا رجلين من العرب(١٤) وقال: سمعت ذلك ممن يوثق بعلمه(١٥) في حين يستعمل لفظة (حدثني) و(حدثنا) في مواضع تدل على أنه لم يسمع مباشرة من العرب وإنما كان السماع بواسطة أي أن شيخه حدثه بذلك وهذا مصداق لقوله حدثني بذلك يونس(١٦). وقال حدثنا أبو الخطاب(١٧). وقال حدثنا يونس أن العرب تنشد هذا البيت(١٨). فضلاً عن أنه يأخذ أسلوب المحدِّثين في استعمال لفظة حدثني وحدثنا إذ استعملوا لفظة حدثني إذا كان حديث الشيخ مع طالبه منفردا أمّا إذا كان الطالب مع أقران له

فيقولون حدثنا "ويحسن حدثني إذا حُدث وهو وحده، وحدثنا إذا حدث وهو مع غيره(١٩)" وهذا عينه ما وظفه سيبويه فيقول حدثنا عندما يكون مع أقرانه يستمعون من شيخهم ويستعمل لفظة حدثني إذا كان منفردا. وهذا وافد له من علم الحديث أيضا. ونستدل على ذلك من قوله حدثنا بذلك يونس عن أبي عمرو(٢٠) وقال حدثنا بذلك يونس وعيسى جميعا(٢١) ويتردد هذا المصطلح كثيرا في كتابه في حين نجد أنه استعمل لفظة حدثني مرة واحدة في قوله حدثني أبو الخطاب أنه سمع العرب ينشدون هذا البيت(٢٢).

- التقسيم الوصفي للحديث

قسم المحدِّثون الحديث على ثلاثة أقسام رئيسة

١ - حديث صحيح ٢- حديث حسن ٣- حديث ضعيف.

والحديث الصحيح "هو الحديث المسند الذي يتصل اسناده بنقل العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذا ولا معللا"(٢٣) ووصف بأنه "أعلى مرتبة من حيث العمل به وقبوله لأنه خص بقرائن تفيد القطع أو الوثوق بصدوره عن النبي ﷺ أو الإمام"(٢٤) والحديث الحسن عرفه المحدّثون بما قاله الخطابي هو "ما عرف مخرجه واشتهر رجاله"(٢٥) والحديث الضعيف هو ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن المذكور.

ونجد أصداء هذه المصطلحات واضحة في أروقة كتاب سيبويه فقد نقلها من علم الحديث لتدخل ميدان النحو. فوسم بعض التراكيب النحوية واللغوية

بـ(الحسن) كما صنع المحدِّثون، وهذا ما نجده في قوله: "ولفظك بذاك أحسن من لفظك بظني فإذا قلت زيد أظن ذاك عاقل كان أحسن من قولك أظن ظني عاقل ذاك أحسن؛ لأنّه ليس بمصدر وهو اسم مبهم يقع على كلّ شيء ألا ترى أنك لو قلت: زيدٌ ظني منطلق لم يحسن ولم يجز أن تضع ذاك موضع ظني"(٢٦) وقال في موضع آخر: "فإن قلت دهرٌ طويل أو شيء كثير أو قليل حسُن وقد يحسُن أن تقول: سيرٌ عليه قريب؛ لأنّك تقول لقيته مذ قريبٌ والنصب عربي جيّد كثير"(٢٧).

وقال أيضاً: "والرفع أجود وأكثر في (ما أنت وزيدٌ) والجر في قولك: (ما شأن عبدالله وزيد) أحسن وأجود"(٢٨).

وذكر هذا المصطلح في كتاب سيبويه أكثر من أن ينحصر؛ لكثرته وتكرار وروده، فالقارئ للكتاب يطالعه هذا المصطلح في مواطن متعددة.

أمّا تسخيره (الضعيف) في كلامه فلم يكن بأقل من استعمال مصطلح (الحسن) فكلاهما أخذ حيزاً كبيراً من الكتاب، ومن ذلك قوله: "فهذا ضعيف والوجه الأكثر الأعرف النصب"(٢٩).

وفي موضع آخر قال: "وكلّما طال الكلام ضعف التأخير إذا أعملت وذلك قولك: زيداً أخاك أظن فهذا ضعيف كما يضعف زيداً قائماً ضربت؛ لأنّ الحد أن يكون الفعل مبتدأ إذا عملت"(٣٠).

ونتلمس ذكر مصطلح الضعيف في موضع آخر من كتاب سيبويه في حديث سيبويه الذي يقول فيه: "وزعم يونس أن من العرب من يقول: أن لا صالح فطالح على أن لا أكن مررت بصالح فبطالح وهذا قبيح ضعيف؛ لأنّك تضمر بعد أن لا فعلاً

آخر فيه حذف غير الذي تضمر بعد إن لا في قولك: إن لا يكن صالح فطالح"(٣١).

أمّا مصطلح (الصحيح) فشأنه شأن المصطلحات التي استقاها سيبويه من المُحدِّثين ووظَّفها في كتابه، مستعملاً إياها في وصف بعض أنماط الكلام العربي، وذلك نحو قوله: "وتقول في شيء منه آخر أيٌّ من أن يأتنا نُعطه نُكرمه فهذا إن جعلته استفهاماً فإعرابه الرفع وهو كلام صحيح"(٣٢).

وقد قسم المُحدِّثون الحديث بحسبان قوته وضعفه على ثلاثة أقسام، هي: الحديث المتواتر، والحديث المشهور، وخبر الآحاد.

ويعرف الحديث المتواتر بأنّه "ما رواه جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول السند الى منتهاه"(٣٣).

أمّا الحديث المشهور فهو: "ماله طرق محصورة بأكثر من اثنتين، ولم يبلغ حدّ التواتر"(٣٤).

في حين عُرف خبر الآحاد بأنّه: "ما رواه الواحد أو الاثنان فأكثر مما لم تتوفر فيه شروط المشهور، أو المتواتر، ولا عبر للعدد فيه عبر ذلك"(٣٥).

وللمحدِّثين نوع آخر يشبه الآحاد وهو الفرد أو المفرد أو ما يسمونه بالإفراد ويطلق عليه بعضهم اسم الغريب بالنسبة للفرد النسبي(٣٦).

ولذلك قالوا الفرد نوعان: فرد مطلق، وفرد نسبي. فالفرد المطلق: ما تفرد راو واحد عن جميع الرواة، مثل: أن يتفرد بالحديث جماعة عن الرسول ﷺ أو تابعي عن صحابي، أو تابع التابعي عن التابعي. أمّا الفرد النسبي: ما حُكم بتفرده بالنسبة لصفة معينة أي قُيّد بصفة خاصة وإن كان الحديث بنفسه مشهوراً، وهو أنواع(٣٧):

١. ما قُيّد ببلد معين، مثل: تفرد بهذا الحديث أهل مكة، أو أهل المدينة.

٢. ما قُيّد بثقة، كقولهم: لم يرو حديث كذا ثقة إلا فلان.

٣. ما قُيّد بإمام أو حافظ ونحوه، مثل: قولهم: تفرد بهذا الحديث فلان عن فلان أو لم يرو حديث كذا عن فلان إلا فلان.

ونجد بوضوح بروز مسألة ما قُيِّد ببلد معين من الحديث بعدّها حكماً يستعمله المحدِّثون قد ألقت بظلالها على التقييم الذي اتبعه سيبويه للتراكيب اللغوية والحكم عليها متجسداً في أكثر من موطن من كتابه، وذلك نحو قوله: "هذا باب ما أجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثمّ يصير إلى أصله"(٣٨).

وقال في موضع آخر: "إنّما كـ(ليس) في لغة أهل الحجاز ما دامت في معناها، وإذا تغيرت عن ذلك أو قدم الخبر رجعت إلى القياس، وصارت اللغات فيها كلغة تميم"(٣٩).

وقال أيضاً: "في قوله تعالى ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾(٤٠) في لغة أهل الحجاز وبنو تميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف"(٤١).

وتجلت فكرة (ما قُيد بثقة) المنحدرة من مناهج المحدِّثين، في منهج سيبويه في كتابه، إذ تطالعنا في مواطن متعددة، ومنها قوله: "سمعنا بعض العرب الموثوق به"(٤٢).

وقوله: "حدّثنا من يوثق به"(٤٣).

وقال أيضاً: "حدثنا بذلك يونس، وأبو الخطاب عمّن يوثق به من العرب"(٤٤).

وقال في موضع آخر: إنّا سمعنا من يوثق بعربيته"(٤٥).

و "أخبرني بذلك من أثق به"(٤٦).

وبدت هذه الفكرة واضحة في غير هذه المواطن من كتاب سيبويه، فطالما أشار إلى نقله عمّن يثق به، وليس ذلك إلا للتثبت من المنقول، وتأكيد أنّه منقول عن ثقة، وهذا يُدل على عناية سيبويه باستقاء النصوص التي تُبنى عليها القواعد النحوية، وتحري مصادرها، وعدم نقلها إلا عمّن يثق به.

- الشذوذ

ومن المصطلحات التي دارت على ألسنة المحدِّثين، واستعملوها في كتبهم، مصطلح الشذوذ الذي استعملوه في وصف الأحاديث التي يتفرد بعض الرواة برواياتها. ثمّ انتقل هذا المصطلح إلى الدرس النحوي إذ يتراءى لمن يطالع كتاب سيبويه كثرة استعماله لهذا المصطلح.

والشذوذ عند المحدثين كما قال الشافعي: "بأن يروي الثقة حديثاً يخالف ما روى الناس وليس من ذلك أن يروي ما لم يرو غيرهم(٤٧)".

والذي عليه الحفاظ: إنّ الشاذ ما ليس له إلا إسناد واحد يشذّ به ثقة أو غير ثقة فيتوقف فيما شذّ به الثقة ولا يحتج به ويرد ما شذّ به غير الثقة(٤٨)".

ونجد سيبويه يستعمل كلمة (شذّ، ويشذ، وشاذ) في كتابه عند كلّ مسألة، وفي الحكم على كلّ تركيب يجد أنّ العرب الفصحاء لم تستعمله أو تنطق به.

فقد استعمل سيبويه هذا المصطلح كثيراً في كتابه، وقد أفرد له باباً في بعض الأحيان، فيقول: "هذا باب ما كان شاذاً مما خففوا على ألسنتهم وليس بمطرد(٤٩)"

وفي موضع آخر يقول: ”هذا باب ما شذّ من المعتل(٥٠)“

وقال أيضاً: ”وهذا شاذٌ؛ لأنّه ليس في ذهب دليل على الشام(٥١)“

وكثرة استعمال مصطلح الشاذ في كتاب سيبويه ما هو إلا من أثر علم الحديث الذي تعلمه ابتداءً فسخَّر المصطلحات الخاصة بعلم الحديث، ووظفها في دراسته اللغوية، والنحوية.

وبعد أن بدا واضحاً أثر مناهج المحدِّثين في المنهج الذي اختطه سيبويه في منهجه اللغوي. بإمكاننا أن نقول إنّ دراسة سيبويه للحديث النبوي، واطلاعه على مناهج المحدثين، قد أسهم في بناء شخصيته، وتحديد ملامح منهجه التي تفرّد بها.

وقد بدا واضحاً في أكثر من موطن من كتابه ملامح هذا التأثر، سواءً أكان باقتباس المصطلحات، أم باتباع الآداب التي التزم بها المحدِّثون.

وتعد هذه الدراسة خطوة لدراسة المؤثرات التي ترسم منهج العلماء بوساطة دراسة المرتكزات العلميّة التي أسهمت في بناء شخصيتهم، وتحديد الخط الفكري الذي يتبعونه. وما لهذا من أثر في منهجهم العلمي، وما يتبنونه من أفكار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

٤) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي ٢ / ٣٥٠.

٥) ينظر: مجالس العلماء، الزجاجي، ١٥٤.

٦) التقييد والإيضاح، شرح مقدمة ابن الصلاح، الشهرزوري، ٢٥١.

٧) مصطلح الحديث، وأثره على الدرس اللغوي عند العرب، شرف الدين علي الراجحي١٦.

٨) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، ٦٢.
٩) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ٢ / ٣٠٢.
١٠) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، ٦٨.
١١) الخلاصة في أصول الحديث، الطيبي، ١٠٠.
١٢) التقييد والايضاح بشرح مقدمة ابن الصلاح، ٢٢٤.
١٣) الكفاية، البغدادي، ٢٧١.
١٤) التقييد والإيضاح بشرح مقدمة ابن الصلاح، ٦٣.
١٥) الكتاب، سيبويه ١ / ٤٠٧.
١٦) المصدر نفسه ١/ ٤٣٢.
١٧) المصدر نفسه ٢/ ٢٧ – ٢٩.
١٨) المصدر نفسه ٢/ ٢٧٩.
١٩) المصدر نفسه ١/ ٣٤٦.
٢٠) المصدر نفسه ١/ ٣٥٣.
٢١) المصدر نفسه١/ ١٥٥.
٢٢) مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب ٤٧.
٢٣) الكتاب ٢/ ١١٣.
٢٤) المصدر نفسه ٢/ ٣١٩.
٢٥) المصدر نفسه ٣/ ٢٣١.
٢٦) ينظر: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ٢٠.
٢٧) مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث، الدكتور حسن الحكيم، ٢٠١.
٢٨) نخبة الفكر، العسقلاني، ١٢.
٢٩) الكتاب ١ / ١٢٥.
٣٠) المصدر نفسه ١ / ٢٢٨.
٣١) المصدر نفسه ١ / ٣٠٩.
٣٢) المصدر نفسه ١ / ٨٦.
٣٣) المصدر نفسه ١ / ١٢٠.
٣٤) المصدر نفسه ١ / ٢٦٢ ٢٦٣.

٣٥) الكتاب ٢ / ٤٠٥.
٣٦) نخبة الفكر، ٤.
٣٧) المصدر نفسه، ٥.
٣٨) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٦٧.
٣٩) نخبة الفكر، ٥.
٤٠) ينظر: مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب، ٨٦.
٤١) الكتاب ١ / ٥٧.
٤٢) المصدر نفسه ١ / ١٢٢.
٤٣) يوسف ٣١.
٤٤) الكتاب ١ / ٥٩.
٤٥) المصدر نفسه ١ / ٣١٩.
٤٦) المصدر نفسه ١ / ٢٥٥.
٤٧) المصدر نفسه ٢ / ٨٣.
٤٨) الكتاب ١ / ١٥٥.
٤٩) المصدر نفسه ٣ / ٢١٣.
٥٠) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، ١٤٨.
٥١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، القرشي، ٥٧.
٥٢) الكتاب ٤ / ٤٨١.
٥٣) المصدر نفسه ٤ / ٤٣٠.
٥٤) المصدر نفسه ١ / ٢٩٤.

... روافد البحث...

١) القرآن الكريم

٢) الإحكام في أصول الأحكام: الحسن بن بشر يحيى الآمدي، طبع دار المعارف، ١٩١٤ م.

٣) إنباه الرواة على أنباه النحاة: علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبي الفضل، طبع دار الكتب، ١٩٥١.

٤) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن عمر القرشي، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٥) التقييد والإيضاح (شرح مقدمة ابن الصلاح)، تقي الدين أبي عمر عثمان بن عبدالرحمن بن الشهرزوري: تحقيق: عبدالرحمن عثمان، مطبعة العاصمة، ١٩٧٧م

٦) الخلاصة في أصول الحديث: الحسن بن عبدالله الطيبي، تحقيق: الدكتور صبحي السامرائي، مطبعة الإرشاد ببغداد، ١٩٧١م.

٧) طبقات النحويين واللغويين: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: محمد أبي الفضل، طبع الخانجي، ١٩٥٤م.

٨) الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ٢٠٠٤م.

٩) الكفاية: أبو بكر أحمد بن علي البغدادي، تقديم محمد حافظ التيجاني، ومراجعة عبدالحليم عبدالعليم وآخرون، مطبعة السعادة، ١٩٧٢م.

١٠) مجالس العلماء: الزجاجي، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الكويت، ١٩٦٢م.

١١) مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث: الدكتور حسن الحكيم.

١٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل وآخرين، طبع عيسى الحلبي، ١٩٥٨م

١٣) مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب: شرف الدين علي الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، د.ت

١٤) نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر و(نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر)، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، طبع مصطفى الحلبي، ١٣٩٢هـ

١٥) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: كمال الدين أبو البركات ابن الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٦٠م.